آداب الرافدين – العدد (60)
1432هـ/2011م

دلالة بناء الجملة الاسمية الممتدة غير المؤكدة في آيات الجنّة والنار*

أ.م.د.طلال يحيى إبراهيم*
عائشة خضر البدراني**

تاريخ التقديم: 2008/3/31
تاريخ القبول: 2008/5/5

تنطلق ديمومة اللغة وحيويتها من سمتها التواصلية، التي تستمد قوامها من فعل التخاطب الإنساني، فاللغة خاصية الإنسان، منطلقها في ذلك أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . كما يقول ابن جني[1] . ومن اللفظ الأخير تكتسب اللغة أسباب وجودها ونجاحها.

وارتباط اللغة بالمقاصد والأغراض ينحو بالدراسات اللغوية إلى إيلاء دراسة الجملة أهمية كبرى، وتوسيع دائرة البحث في دلالاتها ؛ لتكون بذلك نقطة انطلاق . بوصفها بنية صغيرة على مستوى الخطاب . إلى عوالم أرحب تتمثل بعالم الخطاب، الذي يتشكل من هذه البنية وما يجاورها، إذ إنّ استنطاق دلالاتها لا يتحقق بمعزل عن بيئتها اللغوية هذه، التي لا تنعزل بدورها عن الظروف المحيطة بها.

من هنا تتجلى أهمية دراسة دلالة بناء الجملة، من حيث إنها خروج من البحث في الدلالات الجزئية إلى الدلالات الكلية، التي يولدها نسيج لغوي تؤلفه عناصر نحوية ودلالية، تنتظم في صور أو أشكال لغوية تخضع لقوانين تلك اللغة.

---

* البحث مستل من أطروحة الدكتوراه الموسومة: (دلالة بناء الجملة القرآنية دراسة تطبيقية في آيات الجنة والنار)، قدمتها: عائشة خضر، بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور طلال يحيى إبراهيم، إلى كلية الآداب . جامعة الموصل، 2006م.

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

** قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

(1) الخصائص، أبو الفتح ابن جني (ت392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، مصورة عن طبعة دار الكتب، نشر دار الهدى، بيروت، ط2، د.ت: 33/1.

والتصدي لدراسة هذا الموضوع في القرآن الكريم يضع الباحث أمام مسؤولية كبيرة، فهو يسبر أغوار نسق لغوي سمته الكمال والإعجاز، حيث تطالعنا صياغات تركيبية سمتها الانسجام والتكامل بين عرض القضية والقيمة الجمالية، هذا التكامل الذي يعبر عن أغراض القرآن ومقاصده التعبيرية، التي تحيل إلى وحدانية الله (سبحانه وتعالى)، وتدفع عن الحياة عبثيتها وذلك بوجود البعث والثواب والعقاب.

ويشغل موضوع الثواب والعقاب جانبًا مهمًا في القرآن الكريم بوصفه قاعدة إسلامية تستند أصولها إلى ماهية العمل الدنيوي صلاحًا وفسادًا، وتخلع على الحياة صفة كونها دار امتحان مآلها إمّا جنة أو نار، والقصد . والله أعلم . هو بث روح الاستقامة والرجوع إلى الفطرة التي فطر الله (سبحانه وتعالى) عليها عباده.

ولقد حرص البحث على أن يكون مجال الدراسة نصوصًا، وليس جملاً متفرقة ليتسنى من خلال ذلك الوقوف على جانب من دلالاتها ومقاصدها، وقد هدانا استقراء مواضع آيات الجنة والنار إلى منهج يعتمد في توزيعه للنماذج القرآنية على ما تُفتتح به هذه الآيات (المشاهد) من جمل، أي اعتبار الجملة الأولى في التقسيم، بوصفها اللبنة الأولى في بناء النص، فضلاً عن أن البحث وجد أن صياغة الجملة الأولى، ومن ثم دلالاتها لا تقتصر على الجملة نفسها، وإنّما تلقي تأثيراتها وظلالها على ما يليها من كلام من خلال علاقات متنوعة معنوية أو لفظية أو دلالية.

الجملة الاسمية الممتدة غير المؤكدة:

ينهض هذا النوع من الجمل بمهمة الإخبار الذي يُصنف ضمن الخبر الابتدائي الذي يُلقى على مخاطب خالي الذهن من الحكم أو مضمون الجملة، فيلقى إليه الكلام بغير أدوات التوكيد. وهذه الاعتبارات في الخبر مأخوذ بها حال المخاطب، ومع ذلك فإنّ الجملة الاسمية . بطبيعة بنيتها . تعد أولى درجات التأكيد في بناء الخطاب المؤكد.

إنّ الإخبار بهذا الضرب قد يأخذ طابعًا إفراديا، أي يأتي جملة واحدة مستقلة تفيد إخبارًا عن حدث ما، بيد أن معالم هذا الإخبار تتضح وتأخذ حظها الأوفر من الدلالة عندما تكون ضمن بناء نصي متكامل (2)، يرمي صاحبه إلى مقاصد وأغراض لا تنهض بها جملة واحدة، وإنّما يأخذ النص . بمجموع جمله . على عاتقه تحقيق هذه المقاصد، من خلال العلاقات النحوية والدلالية التي تربط بين الجملة الواحدة من جانب، والجمل المحيطة من جانب آخر ؛ مما يسمح بالتنوع في صياغة الجمل التركيبية، والامتداد فيها من خلال المكملات والأدوات التي يقتضيها سياق المقال والمقام.

من هنا قد تظهر عناصر أخرى تغني عن التوكيد، وتنهض بوظيفة دلالية من نوع آخر، تلقي بظلالها على الجملة الاسمية غير المؤكدة [*]، فتأخذ أشكالاً متنوعة تتمثل في الإفراد والتركيب . الإضافي والإسنادي . وتنتمي إلى أبواب نحوية مختلفة يستدعيها السياق، مُكسبة إياها امتدادًا وتشابكًا في العلاقات، تخرج معها الجملة من استقلاليتها، لتدخل مجالاً أوسع في أنماط التعبير . ومن الأنماط التركيبية التي تكتسب الجملة من خلالها امتدادًا جملةُ الاسم الموصول التي سنقف عندها أولا:

أولا . الجملة الممتدة بالاسم الموصول:

قد يحتاج الكلام واعتبارات الخطاب إلى أبنية تركيبية تمتاز من غيرها بوظيفتها النحوية وقيمتها الدلالية، ويعود ذلك إلى سمتها التركيبية التي تأخذ نسقًا

---

(2) يطلق على النوع الأول من الجمل المستقلة إفراديا: (جمل النظام)، وهي الجمل المولدة ضمن نظام نحوي معين في لغة ما، وأما النوع الآخر فيطلق عليه (جمل النص)، وهي الجمل التي تؤدي معناها من خلال النص. ينظر: اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط 1، 1987م: 216 . 217، وينظر: الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، الدكتورة خلود العموش، عالم الكتب الحديثة، اربد، ط1، 1426هـ . 2005م: 16.

[*] ولا تخرج عن ذلك الجملة الفعلية، بل حتى الاسمية المؤكدة، بيد أننا آثرنا هنا ذكر الجملة الاسمية الابتدائية فقط ؛ لأننا في صدد الكلام عليها.

خاصًا بها في التعالق الوظيفي، فضلاً عن بنية اللفظ التي تنتمي إلى باب نحوي معين كما في الأسماء الموصولة.

وبنية الاسم الموصول تستدعي جملة هي صلة الاسم الموصول، التي ينظر إليها على أنها نكرة، والاسم الموصول في هذه الحال أداة التعريف، إذ يؤتى به توصلاً إلى وصف المعارف بالجمل (3). وميزة التعريف هذه تترشح عن علاقة التلازم الوثيقة بين الموصول وصلته، فالصلة هي الموضحة لإبهام الموصول والمزيلة لغموضه ؛ لذلك شُبّه الموصول بحرف الكلمة الذي لا تستبين له دلالة حتى يتضام مع الحروف الأُخر (4).

ويكون الامتداد متأتيًا من جملة الصلة التي تلازم الأسماء الموصولة، إذ تعد هذه الجملة ((تركيبًا لغويا قائم الذات، متكامل البنية النحوية، حاويًا لشبكة الوظائف الدنيا من حيث الإسناد، وظيفته النحوية: تحديد الاسم الموصول الذي هو بدوره يرتبط عضويًا بالسياق التركيبي)) (5). ومن خلال هذا السياق تبرز ميزة توظيف الاسم الموصول ودلالاته المستفادة من ابهامه الذي تزيله الصلة ليشكل عنصر ربط وتعلق مع ما يسبقه وما يلحقه من كلام.

وبناءً على ما تقدم تتضح العلاقة بين الاسم الموصول وصلته، فهي علاقة سمتها التلازم والتعريف المتبادل، تكونها ((مجموعة وظائف نحوية ترتبط ببعضها عن غير طريق التبعية، لتتمم معنى واحدًا، يصلح أن يشغل وظيفة واحدة، أو يكون عنصرًا واحدًا في الجملة بحيث إذا أفردت هذه المجموعة لا تكون

---

(3) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش (ت643هـ)، عالم الكتب، بيروت، د.ت: 3/ 141 . 143، وشرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري (ت 905هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت: 140/1.

(4) ينظر: شرح المقدمة المحسبة، ابن بابشاذ (ت 469هـ)، تحقيق: خالد عبد الكريم، المطبعة العصرية، الكويت، ط1، 1977م: 177/1.

(5) الشرط في القرآن الكريم على نهج اللسانيات الوصفية، الدكتور عبد السلام المسدي، والدكتور محمد الهادي الطرابلسي، الدار العربية للكتاب، تونس، د.ت، 1985م: 160 . 161.

جملة مستقلة))[6]. ومن هذا المنطلق أو المعنى يعد الاسم الموصول وصلته من عناصر امتداد الجملة، وعاملاً من عوامل التماسك في الخطاب متيحًا بذلك امتدادًا يكشف عن جوانب في المعنى . تفصيلاً وبيانًا . لا يمكن أن ينهض بها التعبير فيما لو صيغ بطريقة أخرى في التركيب.

وإذا تأملنا استعمالات الاسم الموصول في القران الكريم نجد توظيفا واسعًا له، تستدعيه مقتضيات الخطاب القرآني من حيث إنه علامة دالة تحقق مع متعلقاتها دلالات ومقاصد، تختلف باختلاف السياقات التي يرد فيها، وسنقف عند مشهد من مشاهد الآخرة التي آثر البيانُ القرآني أن يكون الاسم الموصول وصلته في جملته، واصفًا من خلاله مستحقي العذاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ۞ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ۞ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۞ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۞ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۞ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۞ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ ۞ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ**﴾ [الهمزة: 1-9].

افتتحت هذه السورة بجملة اسمية، تحمل في صياغتها التركيبية دلائل ثبات الحدث، الذي تشير مضامينه إلى معان توقع في النفس رهبة وفزعا مرجعه ما افتتح به الكلام، وهو لفظ (**وَيْلٌ**) وهي لفظة دعائية، يراد بها الهلاك وسوء الحال[7]، ((ومن قال: (**وَيْلٌ**) واد في جهنم، فإنّه لم يرد أن ويلاً في اللغة هو موضوع لهذا، وإنّما أراد من قال الله تعالى ذلك فيه، فقد استحق مقرًا من النار، وثبت ذلك له)) [8]، و(**وَيْلٌ**) مبتدأ، وساغ الابتداء بالنكرة في هذا الموضع؛ لأنه دعاء، هذا الدعاء الذي تظهر فيه شدة وصرامة يغلفها التهديد والوعيد الذي استدعاه الخبر (**لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**)، واستعمال لفظ (**كل**) أفاد الاستغراق والإحاطة

---

(6) في بناء الجملة العربية، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، دار القلم، الكويت، ط 1، 1402هـ . 1982م: 265.

(7) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور (ت 1973م)، الدار التونسية للنشر، د.ت، 1973م: 30/ 536.

(8) المفردات في غريب القران، الراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، نشر بعناية وائل احمد عبد الرحمن، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت: 550.

بالأفراد والأجزاء، فإذا أضيفت إلى نكرة أفادت استغراق كل فرد من أفراد الجنس [9]، كما هو الحال في الآية الكريمة. وإذا كانت هذه السورة نزلت في جماعة معينة . كما تذكر كتب أسباب النزول [10] . فإنّ هذا لا يعني خروج بقية البشر من حكمها إذ هناك خلاف في الوعيد الذي في هذه السورة، هل يتناول كل من يتمسك بهذه الأفعال الرديئة ؟ أو هو مخصوص بأقوام معينين، أمّا المحققون فقالوا: إنّه عام في كلّ من يفعل هذا الفعل كائنًا من كان ؛ لأن خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ، وقال آخرون: إنّه مختص بأناس معينين[11].

والراجح هو أنّ كون اللفظ عامًا لا ينافي أن يكون المراد شخصا معينا، كما أن إنسانًا لو قال لك: لا أزورك أبدًا، فتقول أنت: كل من لم يزرني فلست بزائره، وأنت تريد الجواب وتقصد قصده [12]. وهذا هو المسمى في أصول الفقه بتخصيص العام بقرينة العرف[13].

و(**هُمَزَة**) وصف مشتق من الهمز، وهو أن يصيب أحدٌ أحدًا بالإشارة بالعين أو بالشدق أو بالرأس بحضرته أو عند توليه، واللمز: هو الاغتياب وتتبع العيوب وتدل صيغة اللفظتين (**فُعَلَة**) على أن ذلك عادة من الإنسان قد ضرى

(9) ينظر: معاني النحو، الدكتور فاضل السامرائي، مطابع دار الحكمة، بغداد، 1991م: 516/4.

(10) ينظر مثلاً: أسباب النزول، للسيوطي (ت 911هـ)، بعناية: د.محمد محمد تامر، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 2005م: 214.

(11) ينظر: التفسير الكبير، فخر الدين الرازي (ت 606هـ)، دار الكتب العلمية، طهران، ط 2: 91/32.

(12) ينظر: معاني القرآن، أبو زكريا الفراء (ت 207هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1980م: 289/3، التفسير الكبير: 91/32.

(13) ينظر: المفردات: 458، التحرير والتنوير: 537/30.

بها، والتاء التي ليست للتأنيث تُحول الوصف إلى الاسمية، فكأنها اسم ذات لكثرة مزاولة صاحبها لها(14).

ومن خلال هذه الصياغة التركيبية تتجسد معادلة لطيفة سببيه بنيت على التهديد والوعيد الذي يكتسب قوته وشدته ليس من اللفظ نفسه، وإنّما من قائله، وهو الله سبحانه وتعالى، بسبب شناعة الفعل، الذي يخلو من المروءة ويَعْرى من الإيمان، والآية بعد ذلك إعلام الهي يشير إلى كراهية الإسلام لهذه الصور الهابطة من صور السلوك بحكم ترفعه الأخلاقي(15).

والوسم بالصفة يقرر حقيقة أننا إزاء أحكام اقتضاها السلوك البشري، جاعلة منه معيارًا يقام من خلاله الحد، فالسلوك والمنهج المتبع هو الأساس في توصيف النماذج البشرية وبمقتضى ذلك يتحدد المصير، وهذه النماذج ليست بالجاهزة، وإنّما هي نماذج حية معاشة، ولا تقتصر على زمن الدعوة، وإنّما هي موجودة في كل زمان ومكان.

وقد وظف البيان القرآني ألفاظًا تعد بدلالاتها ووظيفتها عنصر تبيين وتوضيح، فضلاً عن كونها امتدادًا في الكلام جاعلاً منها سلسلة من الألفاظ المتعالقة لفظيًا ومعنويًا، محققة بذلك تماسكًا على مستوى اللفظ وعلى مستوى المعنى، ويتمثل ذلك في انسحاب حكم الدعاء (**ويل**) على ما يليه من كلام في قوله تعالى (**الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ**) فاكتسبت بذلك الجملة الاسمية امتداد من خلال الاسم الموصول الذي يفتقر إلى ما يسبقه بفعل بنيته

---

(14) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري (ت538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت: 95/4، وينظر: معاني الأبنية في العربية، الدكتور فاضل السامرائي، كلية الآداب جامعة الكويت، ط1، 1401هـ. 1981م: 121 .123.

(15) ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب (ت 1966م)، دار الشروق، القاهرة، ط34، 2004م: 3972/30.

اللفظية، والواقع في الآية بدلاً [16]، والبدل من ((الفصائل الكفيلة بإنتاج حمولة دلالية بيانية تعمل على إيصال المضمون الإخباري بصورة قطعية وجلية متزنة مجردة من الدلالات الاحتمالية القابلة، للتحميل على وجوه تأويلية مختلفة)) [17]، وهذا ما كشفت عنه جملة الصلة التي تعد مع الاسم الموصول ((كالاسم الواحد لا يتقدم بعضه بعضًا))[18].

وقد أفصحت جملة الصلة بصياغتها التركيبية الفعلية، عن أحداث متعددة متدرجة في قوله (**الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ**)، فهذه المنظومة الحدثية المأخوذة فيها النظرة البشرية للمال . ليست بالضرورة أن تكون شاملة لكل البشر. بدأت بشغف الجمع وانتهت بمظنة الخلود، والذي يقوّض هذه المظنة ويُنقص جدوى الجمع والعدّ، هو الفعل (**يحسب**) فالحسبان أنْ يُحكم لأحد النقيضين من غير أنْ يخطر الآخر بالبال[19]، فمدلول هذا الفعل يشير إلى نظرة بشرية ضيقة جعلت من المال معادلاً وموازيًا للخلود، من دون أن تؤخذ النظرة المقابلة، وهي انه قد يكون سببًا في إيراد صاحبه موارد الهلاك، وهذا ما أفصح عنه قوله تعالى: (**كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ**)، إذ تتجسد القوة والردع في كل لفظ، ابتداء بـ(**كلا**) التي تدل على الزجر والردع [20]، مرورا بالقسم

---

(16) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (ت745هـ)، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ . 2001م: 51/8.

(17) البحث الدلالي في كتاب سيبويه، دلخوش جار الله، مطبعة رون، السليمانية، ط 1، 1424هـ . 2004م: 216.

(18) المقتضب، أبو العباس المبرد (ت 285هـ)، تحقيق: محمد عبد الخال ق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ت: 197/3، وينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، الدكتور محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، د.ط، 2001م: 322/1.

(19) ينظر: المفردات: 125.

(20) ذكر ابن فارس أن منى (كلا) في الآية هو الردّ، ينظر: مقالة (كلا) وما جاء منها في كتاب الله، لابن فارس (ت 395هـ)، ضمن كتاب ثلاث رسائل، تحقيق: عبد العزي ز الميمني، المطبعة السلفية، القاهرة، 1387هـ: 12، في حين نقل ابن هشام معنى الردع والزجر عن أكثر

المحذوف الذي دلت عليها اللام في (**لينبذن**)[21]، والمراد منه توكيد مضمون الخبر وتقريره، والمستفاد أيضًا من اقتران الفعل بنون التوكيد الثقيلة، هذا فضلاً عن مدلول فعل النبذ نفسه، وهو ((إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به))[22] وعزز ذلك إطلاق اسم (**الحطمة**) على النار لتشكل بذلك صورة تجمع بين التهكم والإهانة والشدة والصرامة، ولتكون هذه اللفظة (**الحطمة**) موازية ومعادلة في الصيغة الصرفية للفظتي (**الهمزة واللمزة**)، إذ وُسِم الكافر بصيغة أرشدت إلى أنها راسخة فيه متمكنة منه، وسلك في تعيينها مبالغة على وزن الصيغة التي ضمنها الذنب، فحصل التعادل بين الذنب والجزاء، فالذي ضرى بالذنب جزاؤه حطمة هي ضارية بحطم كل من يرد إليها[23].

وأردف ذلك تعظيمًا وتفخيمًا للحطمة بإعادة إظهارها في سياق جملة استفهامية (**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ**) جاعلا من (**الحطمة**) الغامض الجلي الذي يشير مدلوله إلى معنى معروف، بيد انه لا يمكن الوقوف على كنهه ولا الإحاطـ ة به، إلاّ من خلال ما يقدمه القرآن من إضاءات مراعيًا فيها الخبرة البشرية، للوقوف على جانب من دلالات التركيب.

من هنا كان قوله تعالى (**نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ**) توصيفًا آخر يسلط الضوء على عظمة العقاب، ومن جانب آخر فيه تشديد وتعظيم اكبر من سابقه ؛ لأنه اقترن هذه المرة بلفظ الجلالة (**نار الله**)، جاعلاً من هذه النار عذابًا فريدًا لا نجده في كل نار.

ولبيان عظمة هذه النار فقد أضافها الله سبحانه وتعالى إلى نفسه في هذا الموضع من القرآن الكريم فقط، لبيان فظاعة جرم من أعدت له، إذ يقول الجاحظ

البصريين. ينظر: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1407هـ . 1987م: 188/1.

(21) ينظر: التحرير والتنوير: 539/30.

(22) المفردات: 483.

(23) الانتصاف من الكشاف، ابن المنيّر الاسكندري (ت683هـ)، مطبوع بهامش الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت: 795/4.

(ت255هـ): ((وكل شيء أضافه الله إلى نفسه فقد عظّم شانه وشدَّد أمره، وقد فعل ذلك بالنار))[24]

و(**نار**) خبر لمبتدأ محذوف تقديره (**هي**)، و(**الموقدة**) نعت لـ(**نار**)، و(**التي**) اسم موصول في محل رفع نعت ثان لـ(**نار**)، و(**على الافئدة**) متعلق بـ(**تطّلع**)[25]. ومن خلال هذه المبينات والمتعلقات تتجسد ضراوة هذه النار وإيلامها المستمد من كونها (**نار الله**) من جانب، ومن كونها تطلع على الأفئدة، إذ تتشكل موازنة غاية في الدقة والجمال والإعجاز في هذا التركيب ؛ لأن الإطلاع على الأفئدة لا يكون إلاّ لله سبحانه، فهي موطن السرائر ؛ ولأنها (**نار الله**) سُوِّغ لها أن تطلع على الأفئدة، لتكون درجة إيلامها ووطأتها موازية ومعادلة لدرجة الكفر والخبث الذي يعتمل في تلك الأفئدة، والذي لا يعلم تغلغله في قلوبهم إلاّ الله، يعضد ذلك أن فعل الإطلاع يستعمل مع كل مستتر خفي.

وتخصيص ذكر الفؤاد من دون الجوارح الأخرى يوقع في النفس الفزع، فلا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد، ولا اشد تألمًا منه بأدنى أذى يماسه، وهو أيضًا موطن الكفر والعقائد الخبيئة والنيات الفاسدة[26] ؛ ولذلك اختص بالذكر من دون أعضاء الجسم الأخرى.

ولتأكيد مضمون هذا الخبر قال تعالى: (**إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ**) فأسهمت مرجعية الضمير . وهو اسم إنّ (**الهاء**)، العائد على (**نار الله**) . في تحقيق مقصدية السورة، إذ كل ((نص له مقصدية أو هدف، والضمائر تسهم

---

(24) الحيوان، الجاحظ (ت255هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1996: 96/5، وينظر: المضاف إلى لفظ الجلالة (الله) في القرآن الكريم . دراسة دلالية، رسالة ماجستير قدمتها لقاء حازم إلى كلية التربية، 1999:54.

(25) ينظر: اعراب القرآن، ابو جعفر النحاس (ت338هـ)، تحقيق: د.زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، 1980:3/767، وينظر: الجدول في إعراب القران وصرفه وبيانه، محمود صافي، مكتبة النهضة، قم، ط1، 1991م: 30/404.

(26) ينظر: التفسير الكبير: 32/94.

في تحقيق هذه المقصدية من خلال الرجوع إلى السابق أو للاحق في داخل النص أو خارجه))[27]، فكأنّ ألفاظ الجملة السابقة ودلالاتها قد استحضرت مرة أخرى مؤكدة في قوله تعالى: (**إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ**) هذا فضلا عن استحضار الفئة المخصوصة بالعذاب من خلال الضمير في (**عليهم**)، وبصيغة الجمع دون الإفراد الذي وجدناه في قوله (**الذي ...**)، وذلك لإخراج الخبر إلى العموم ليشمل عموم الكفار، هذا العموم الذي استلزمه الجمع في لفظ (**الأفئدة**) محدثًا هذا الخبر ضيقًا آخر على مستوى المكان، إذ يشخص بوصفه عذابًا من نوع آخر يستمد ضيقه من قوله (**موصدة . ممددة**).

ولقد أسهمت تشكلات الألفاظ الصوتية والبنى الصرفية في مد سياق السورة بجرس سمته الشدة والقوة ولاسيما تكرر صوت الدال الذي يتردد صداه في جو السورة مولّدًا لونًا من التناسق التصويري يتفق مع الأفعال المسرودة[28]، التي تنبعث في نفسٍ تَوَطَّنَها الحرصُ على أذى الآخرين، يوازيه التشبث بأسباب هي في مظنة الكافر سبب خلوده في الحياة، فكانت سببًا في خلوده في العذاب، وهنا مكمن المفارقة المؤلمة.

ثانيا . الجملة الممتدة بجملة الصفة:

لا يقتصر وجود هذا النوع من الجمل في القرآن الكريم على مشهد أخروي أو قصة أو أي موضوع معين، وإنّما نجده يتجلى على نطاق القرآن الكريم بأكمله، والمشهد الذي سنقف عنده الآن يُعَدُّ أنموذجًا من نماذج كثيرة وَّظف منها البيان القرآني جملاً ممتدة تتصل بعلاقة مباشرة أو غير مباشرة بالجملة الاسمية التي استهل بها المشهد، فإذا تمعنا في قوله تعالى: ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۞ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۞ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۞ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ**

---

(27) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق . دراسة تطبيقية على السور المكية، الدكتور صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء، القاهرة، ط1، 1421هـ . 2000م: 232/1.

(28) ينظر: مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط 15، 1425هـ . 2004م: 81.

يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۞ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: 19 . 24].

نلحظ أن قوله تعالى (**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**) كلام مستأنف، وقد تألف بناء الجملة فيه من (**هذان**) وهو مبتدأ خبره (**خصمان**)، فالتعبير باسم الإشارة تنبثق عنه أكثر من دلالة منها التحديد بتمييز المشار إليه من جهة، وربط المتلقي بالسياق [(29)]، من خلال دلالة القرب التي يجسدها هذا الاسم من جهة أخرى، والمشار إليه (**خصمان**) ((وهو في الأصل مصدر، وقد وصف به، وأكثر الاستعمال توحيده، فمن ثناه وجمعه حَمَلَهُ على الصفات والأسماء)) [(30)]، وقد أريد من هذه التثنية إبراز معنى الخصومة، إذ تحتمل هذه الصيغة الصفة والاسم معًا، والمقصود بالخصمين: فريقان، بيد أن إطلاق وصف الخصمين عليهما، تتولد عنه دلالات تفضي إلى أنّها خصومة أبدية لا هوادة فيها، ولا صلح ينهيها، فالانضمام إلى أحد الفريقين يقتضي الخصومة مع الفريق الآخر، ولا تخفى دلالة الثبات التي تضيفها الصيغة الاسمية على الجملة.

والوقوف على هذا الخبر العام في دلالته يقتضي تقييدًا يحدد وجه الخصومة ومسبباتها من هنا جاء قوله تعالى: (**اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**) لتبيين ذلك، والجملة في محل رفع صفة لـ(**خصمان**)، وفي الفعل عدول في مطابقة العدد، إذ قال تعالى (**اخْتَصَمُوا**) من دون (**اختصما**)، ويرد هذا الأسلوب في كلام العرب إذا

---

(29) ينظر: في بناء النص ودلالاته . محاور الإحالة الكلامية، مريم فرنسيس، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، 1998م: 95.

(30) التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري (ت 616هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط2، 1407هـ . 1987م: 2/937.

كان الاثنان يدلان على العموم، ولا يقصد التثنية [31]، هذا فضلاً عمّا في هذا العدول من لفت . فني . لنظر المتلقي[32]، موقظًا ذهنه على دواعي هذا العدول.

وهذا الكلام إجمال يفصله ما يليه من خلال توصيف تبعات التزام عقيدة كل فريق منهما، ليوقف البيان القرآني المتلقي مباشرة على نتائج ذلك في قوله تعالى: (**فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۞ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۞ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ۞ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**)، وابتدأ بذكر مآب الكفار، إذ إنه يتسق مع ظلال القوة والشدة والعنف والرهبة والتحذير والترهيب واستجاشة مشاعر التقوى والوجل والاستسلام التي يتشح بها جو السورة [33]، وفرّع عليه بالفاء للكلام على مصير هذا الفريق. والسمة البارزة في هذا الموقف استعمال صيغة الفعل المبني للمجهول أكثر من مرة. ويرى أبو علي الفارسي (ت377هـ) في تغيير الفعل من اجل إسناده إلى المفعول دليلاً على تمكين المفعول عند العرب، وتمكين حاله في أنفسهم، إذ افردوه بأن صاغوا الفعل له صياغة مخالفة لصياغته مع الفاعل [34]، هذا من جهة كون اللغة وسيلة من وسائل الاتصال يتبع نظامها أحوال مستعمليها وعاداتهم اللغوية، ومن جهة أخرى يعبر هذا النوع من الصياغات التركيبية عن شدة ملازمة الفعل للمفعول به، وهذا التوجه يخضع لمقتضيات السياق المقامية والمقالية.

وهناك أفعال في هذا الموقف صيغت مبنية للمجهول، وهي في الوقت نفسه أفعال مطاوعة (**قُطِّعت، يُصْهَرُ**)، وإنّما سميت بذلك ؛ لأن المفعول به يتأثر

---

(31) قال الفراء في تعليل ذلك: (وقوله: (اختصموا)، ولم يقل: اختصما ؛ لأنهما جمعان ليسا برجلين، ولو قيل: اختصما، كان صوابا) معاني القران: 220/2.

(32) ينظر: قضايا اللغة في كتب التفسير . المنهج . التأويل . الإعجاز، الدكتور الهادي الجطلاوي، دار محمد علي الحامي، تونس، ط1، 1998م: 499

(33) ينظر: في ظلال القران: 2406/17

(34) ينظر: الخصائص:219/2 . 220، وينظر: ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، الدكتور محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 1985م:70 . 71.

ويقبل أثر الفعل، فالمطاوع هو في الحقيقي ة المفعول به الذي صار فاعلاً غير نحوي، فجمعت بين المطاوعة والبناء للمجهول [35]، للدلالة . والله أعلم . على أن كل شيء مسخر ومطاوع لعذاب الكفار، فضلاً عن أن شدة العذاب وجسامته لا تسمح بإظهار الفاعل حتى للذي وقع عليه أثر الفعل ؛ لأنّه واقع تحت سلسلة من أصناف العذاب المتتابعة بسرعة، والدليل على ذلك استعمال صيغة (**قُطّعت**) بالتشديد، للإشارة إلى الشدة، فضلاً عن عدم استعمال العطف بين الجمل الفعلية المتتابعة للإشارة إلى شدة الاتصال بين أحداثها.

ويربط البيان القرآني النزوع إلى الخلاص من العذاب بالإرادة الإنسانية التي تمثل قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل لنزوع النفس إلى الشيء [36]، وتتركز الإرادة الإنسانية هنا في الخلاص من هذا المكان، فيقول تعالى: (**كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**)، مستعملاً **(كلما)** التي تفيد الشرط، فضلاً عن دلالتها على محاولتهم المتكررة للخروج من النار، والدليل على ذلك أيضا قوله (**من غم**)، إذ استعملت **(من)** لتفيد معنى الجنس [37]، وباقترانها بالنكرة **(غم)** كشفت عن كثرة الغم وتنوع أجناسه، إذ تتجدد المحاولة مع كل غم، ويجمعها قوله تعالى: **(وذوقوا عذب الحريق)** معبرًا عن النار بـ**(الحريق)**، وهي النار الضخمة المنتشرة، ودلالة الأمر خرجت إلى معنى الإهانة؛ لأنّهم قد علموا أنّهم يذوقونه[38]، وفعل القول محذوف [39]، لدلالة السياق عليه، فاتسق هذا

---

(35) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاسترباذي (ت 686هـ)، تحقيق: محمد ور الحسن، ومحمد الزفران، ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1395هـ . 1975م: 103/1، وينظر: الفعل زمانه وأبنيته، الدكتور إبراهيم السامرائي، مطبعة العاني، بغداد، د.ط، 1386هـ 1966م: 98.

(36) ينظر: المفردات: 212.

(37) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي (ت 749هـ)، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، مكتبة العربي، حلب، ط 1، 1393هـ . 1973م: 309 . 310.

(38) ينظر: التحرير والتنوير: 230/17.

الحذف مع الأسلوب الذي أعتمده البيان القرآني في هذا الموقف بالاستغناء عن الفاعل، والجملة التفات من الغيبة إلى المخاطب، فنقل المعنى بهذا العدول الأسلوبي إلى أفق أوسع، يؤثر تأثيرًا مباشرًا في صرف سياق الكلام، وكسر مساره(40)، ليخلص من خلال الخطاب الأمري المباشر إلى إهانة المقصودين بهذا الخطاب وتحقيرهم، وهم يعايشون ويعانون وطأة العذاب وشدته.

ويأتي عرض البيان القرآني للفريق الآخر الذي سمته الإيمان والعمل الصالح، وهو المقابل للفريق الأول الذي كانت سمته الكفر والضلال. ولكي يأخذ الكلام سمة النقيض للنقيض، تشكل بصياغات تركيبية جسدت ما تنتهي إليه حال المؤمنين، وذلك في قوله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۞ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ**) ومقتضى الظاهر أن يكون الكلام معطوفًا، فعدل عن ذلك إلى هذا النظم لاسترعاء الأسماع وتنبيهها عليه، إذ جاء مبتدأ به مستقلاً مفتتحًا بحرف التأكيد، ومتوجا باسم الجلالة (**الله**) والبليغ لا تفوته معرفة أن هذا الكلام قسيم للذي قبله في تفصيل إجمال (**هذان خصمان**)(41).

وأفادت (**إنَّ**) فضلا عن التوكيد الشروع في إنشاء الخبر، الذي شكل فيه لفظ الجلالة (الله) محورًا ومرتكزًا تستند إليه الدلالة ؛ لأنها تكتسب بوروده قوة وإقناعًا وضمانًا بتحقق الخبر، فضلا عن أن ذكره يرفع من شأن المؤمنين، ولا سيما أنه لم يُصَّرح باسمه الكريم عند الكلام على (**الذين كفروا**). وكذلك فإنّ التعبير عن المؤمنين بالاسم الموصول هو للإفادة من الإبهام الذي يكتنفه، ثم التعريف الذي تكسبه إياه جملة الصلة، فضلا عمّا تتيحه من امتداد في الكلام يضفي دلالات جديدة من خلال توظيف عناصر ومتعلقات في الجملة، تتعلق

(39) ينظر: التبيان في اعراب القران: 937/2.

(40) ينظر: استقبال النص عند العرب، الدكتور محمد المبارك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999م: 275 . 276.

(41) ينظر: التحرير والتنوير: 231/17.

بدورها بالاسم الموصول، لتشكل معه تركيبًا نحويًا، لا تتحقق دلالته إلاّ باجتماع اللاحق مع السابق*، وهذا ما تقتضيه طبيعة التركيب نفسه. وأشارت جملة الصلة بصيغتها الماضية إلى تحقق فعل الإيمان ورسوخه في المخصوصين به، فضلاً عن أن مدلول صيغة الفعل ((يفيد من جهة الاقتضاء خروج المتصف بها من دائرة الخوف ودخوله مدار الأمن، وهو المقتضى نفسه الحاصل من صيغة (**افعل**)، وهو الاتصاف بصفة)) (42). وفي عطف قوله (**عملوا الصالحات**) على (**امنوا**) دليل على أن الإيمان وحده لا يضمن دخول الجنة إلاّ إذا اقترن به العمل الصالح، من هنا دلت واو العطف على الجمع بين المتعاطفين، مفيدًا البيان القرآني من كونها حرف نسق مبهم زمنيًا، ومن ثم لا يجوز العطف هنا بـ(**الفاء**) أو بـ(**ثم**) ؛ لأنهما حرفان دالان على الترتيب الزمني في الفعل(43). فلا إيمان بدون عمل صالح، ولا يُقبل عمل صالح من دون إيمان.

وقد أفادت (**من**) في قوله تعالى: (**يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**) الجنس(44)، لافتًا انتباه المتلقي من خلال هذا الوصف إلى أصناف من الحلي النفيسة، التي لا يقتنيها . في الحياة الدنيا . إلاّ ذوو اليسار، هذا مع تنوع الألفاظ بين الفعلية والاسمية، مما يطبع بناء الجملة بدلالة كل منها، فجاء لفظ اللباس بعد (**يحلون**) بصيغة الاسم من دون (**يلبسون**)، لتحصل الدلالة مع الملبس على الثبات والاستمرار، وهذا يشي بزيادة التنعم، فهم ليسوا كأهل الدنيا

---

* ولذلك سمي الموصول وحده بالاسم الناقص، إذ لا يسمى موصولا إلا إذا أكمل بصلته. ينظر: شرح المفصل: 150/3.

(42) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدا لله صولة، منشورات كلية الآداب، منوبة، د.ط، 2001م: 130/1.

(43) ينظر: مغني اللبيب: 354/2، همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تصحيح: محمد بدر النعساني، دار المعرفة للطباعة، بيروت، د.ط، د.ت: 128/2 . 129، أساليب العطف في القرآن الكريم، الدكتور مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، د.ط، 1999م: 53.

(44) ينظر: الجنى الداني: 309 . 310.

من الذين يلبسون الثياب الفاخرة في أوقات المناسبات، بل ثياب الحرير ملازمة لأهل الجنة دومًا، فضلاً عن أن وقوع كلتا الجملتين في محل نصب حالاً جعل كلاً منهما عنصرًا تبيينيًا يكشف عن نعيم الجنة.

وذكر هذه الأوصاف من النعيم يناسب ويقابل ما ذكر من أصناف العذاب للكفار، إذ تبرز دلالة هذه الأصناف أكثر حينما تذكر في سياق يقابلها، فتبرز دلالة الجمال أكثر بجانب القبح، إذ بضدها تتميز الأشياء كما يقال.

وإلى جانب هذا النعيم الحسي هناك نعيم لا يقلُّ عنه قيمة، إن لم يَفُقْهُ وهو نعيم نفسي روحي على صلة بأدب المعاملة في قوله تعالى: (**وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ**)، إذ بني فعل الهداية في المرتين للمجهول متسقًا مع السمة الطاغية على الأفعال الواردة في هذا المشهد، وفاعل الهداية معلوم وظاهر لا يختلف فيه اثنان، ولذلك استغنى عن ذكره هنا لظهوره، وهو رب العالمين سبحانه وتعالى، ويؤيد هذا قوله تعالى في موضع آخر ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ** ﴾ [الحجر: 47]، فكان من دواعي بناء هذا الفعل للمجهول بيان أن فعل الهداية يؤثر فيهم ويصبح من مقتضيات الحياة الجديدة، ليرتقوا بذلك إلى منزلة المكان الذي هم فيه والذي وصفه رب العزة في القرآن في مواضع عديدة منها قوله تعالى: ﴿ **لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا كِذَّاباً** ﴾ [النبأ: 35]، وقوله تعالى: ﴿ **لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً ۞ إِلَّا قِيلاً سَلاماً سَلاماً** ﴾ [الواقعة: 25-26]،وقوله تعالى: ﴿ **تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ** ﴾ [إبراهيم: 23]،فالجنة مقر الطيب من القول.

جـ . الجملة المركبة

من المعلوم أن الجملة الاسمية تتكون في أوجز صورها من ركنين هما المبتدأ والخبر، فإذا دخلت عليها عناصر اسمية أو فعلية، مجسدة في ذلك خبرها أو بعض أجزاء الخبر، خرجت الجملة عن صورتها تلك إلى نمط جديد مركب، يلج مجالات من الدلالة أوسع، وهذا بطبيعة الحال يخضع لمقتضيات الحال التي

تحف المقال، أمّا امتداد الجملة وطولها فتنهض به عناصر نحوية [*]، هي في مجملها من مكملات الجملة.

وتعد ظاهرة طول الجملة وامتدادها في القرآن الكريم ظاهرة تكاد تكون طاغية في أسلوبه، وهذا راجع إلى تلك العلاقات المتشابكة في أبنية جمله التي تخضع بدورها لمقتضيات السياق وطبيعة الموضوعات التي يعالجها القرآن الكريم كالقصص والأمثال ومشاهد القيامة، والموضوعات التي تعد أساس التشريع الإسلامي، فضلاً عن الموضوعات التي تدخل في آداب المعاملات ومن الجمل في القران ما سار ذكرها بين الناس مسار المثل تُستذكر ويُستشهد بها في المواقف التي تناسبها، بيد أنها في سياقها لبنة في خطاب متماسك، قد تنفرد فيه الجملة بمعنى مستقل، لكن هذا المعنى في سياقه هو جزء مكمل لما قبله وما بعده، ويرتبط به إمّا بعلاقات لفظية أو معنوية.

وذكرنا سابقا أن لطبيعة الموضوع دورًا مهمًا في تشكيل الجمل بطريقة دون أخرى، من هنا اقتضت مشاهد الجنة والنار اعتماد طريقة في التعبير تطول فيها الجمل وتمتد وتتنوع الصياغات لتقريب صورة الجنة بنعيمها، وصورة النار وأصناف العذاب فيها، إذ ينهض الوصف بدور مهم ومحوري في نقل صور تنبض بالحياة وتهز المشاعر وتوقظ الفكر، من خلال توظيف عناصر نحوية يسهم كل منها بدلالة معينة حسب انتمائها النحوي.

ومن المشاهد التي امتدت الجملة فيها لتشمل المشهد بأكمله قوله تعالى:
﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ

---

[*] عرض لهذا الجانب من بناء الجملة، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، مبينا العناصر التي تكسب الجملة طولا، واضعا إياها تحت مسميات تنبثق عن طبيعة الجملة وطبيعة العنصر نفسه المطول للجملة، ينظر: في بناء الجملة العربية: 76 . 113.

أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد: 15] ورد الكلام في هذا المشهد في آية واحدة في جملة واحدة طويلة ممتدة بفعل المتعلقات والمعطوفات . على مستوى الإفراد والتركيب . فيها، إذ جاء قوله تعالى: **(مثل الجنة)** مبتدأ، وخبره في الجانب المقابل في قوله **(كمن هو خالد...)** وهذا التوجيه الإعرابي من ضمن توجيهات إعرابية أخرى للآية الكريمة، وتحديدا الخبر، إذ قيل: انه محذوف(45)، وقيل: بأنّ خبر **(مثل الجنة)** هو **(كمن هو خالد)** وهو ما نطمئن إليه ؛ لأنه انسب دلاليًا ومن ثم مقصديًا في عقد مقارنة بين مصيرين أحدهما فيه النجاة والآخر فيه الهلاك، وهما نتيجة لمسارين تجسدها الآية الكريمة السابقة لهذا المشهد وهي قوله تعالى: **﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾** [محمد: 14].

من هنا فان التوجيه الإعرابي الذي ذهبنا إليه يضع المتلقي أمام نتيجة هذين المسارين، ليستخلص العبر مُحكّما فكره ومتدبرا حاله بينهما.

وأطلق لفظ (**مثل**) ؛ لأن الكلام الذي يلي اللفظ مما يثير الاستغراب والدهشة لدى المتلقي، إذ لا يؤتى به إلاّ في الأشياء المستغربة (46). وتتولد الغرابة عن تلك الوفرة التي وصف بها نعيم الجنة مجسدا بلفظ (**انهار**) على ندرة تلك الأصناف في بيئة كالبيئة العربية، والله خالق البشر ((اعلم بمن خلق، واعرف بما يؤثر في قلوبهم، وما يصلح لتربيتهم ثم ما يصلح لنعيمهم ولعذابهم، والبشر صنوف، والنفوس ألوان والطبائع شتى، تلتقي كلها في فطرة الإنسان، ثم تختلف وتتنوع بحسب كل إنسان، ومن ثم فصل الله [سبحانه وتعالى] ألوان النعيم والعذاب، وصنوف المتاع والآلام، وفق علمه المطلق بالبشر))(47)، من هنا وظفت غرابة هذا الكلام ليكون عامل جذب وترغيب في الجنة، وعامل نفرة وترهيب من النار، وجاءت أصناف النعيم مدرجة متعلقة بالمبتدأ **(مثل الجنة)** من خلال الاسم

---

(45) ينظر: البحر المحيط: 78/8 . 79،والجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود صافي: 319/26.

(46) ينظر: الفوائد في مشكل القرآن، العز بن عبد السلام (ت 660هـ)، تحقيق: سيد رضوان علي الندوي، المطبعة العصرية، الكويت، د.ط، 1387هـ . 1967م: 88.

(47) في ظلال القران: 3291/26.

الموصول (**التي**)، إذ أتاح امتدادًا وطولاً عبر صلته المصدرة بفعل مبني للمجهول، كي لا يخرج المتلقي عن دائرة الحدث وترجمة الوعد، واستعمال الفعل (**وُعِد**) يتمثل بالالتزام بما في هذا الفعل من مدلول، وفيه مؤشر على القوة الانجازية، إذ أن الخاصية التكوينية لوعد ما، هي انه يتمثل بالنسبة للمتكلم في عقد التزام بالقيام بفعل ما، والالتزام يلزم صاحبه (48)، فكيف إذا كان وعدًا من الله سبحانه وتعالى، ولنتأمل كيف خاطب البيان القرآني الإنسان العربي ساكن الصحراء ووعده بأصناف متنوعة من الشراب والأطعمة، فجانب التعريض بهذه البيئة بيّن، إذ يندر فيها أن تحافظ هذه الأصناف على جودتها وطعمها، ولاسيما الماء واللبن، فكان قوله تعالى: (**فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّىً**) بتكرار لفظ (**انهار**) دلالة على الفيض والسعة، ودوام الجريان وسهولة المتناول، فجعل الله ذلك مثلا لما يدر من فيضه وفضله في الجنة على الناس (49)، متدرجا بهذا التعداد، ومبتدئا بما هو معهود مألوف لا يستغنى عنه وهو الماء، ومنتهيا بما هو بعيد المتناول وهو العسل، معرفًا بها بأنّها انهار، وهذه قمة الغرابة والعجب، ومع ذكر (**انهار**) يعاد ذكر حرف الجر (**من**) التي أفادت بيان الجنس (50)، فدلت على أنّ هذه الأصناف مذكورة على الحقيقة.

وقد نهضت الواو بدور محوري بوصفها أداة للربط، وقد أفيد منها الجمع المطلق، وليس في هذا دليل على تقديم شيء قبل شيء (51) ولا ذكر شيء بعد شيء ولا علاقة لهذا الجمع بالزمن، فالأداة في الآية دلت على مطلق الجمع،

---

(48) ينظر: سلطة الكلام وقوة الكلمات، أبو بكر العزاوي، مجلة المناهل، العدد 62 . 63، لسنة 2001م: 139.

(49) ينظر: المفردات: 508، والتحرير والتنوير: 96/26.

(50) ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي (ت702هـ)، تحقيق: احمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ط، 1395هـ . 1975م: 323.

(51) ينظر: الجنى الداني: 158.

والقرينة في ذلك سياق المقال والمقام [52]، إذ وجه دلالة الواو على مطلق الجمع، هذا فضلاً عن خاصية الربط والتماسك التي تمتاز بها هي والضمائر التي تعود على الجنة، ومنها ما يعود على المتقين، ولا سيما في قوله تعالى: **(وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ)**، إذ تعود الهاء في **(لهم)** على المتقين، وتعود الهاء في (**فيها**) على الجنة، فيستحضر البيان القرآني من خلال هذه الضمائر العنصرين المحوريين في هذا المشهد، وهما (**الجنة والمتقون**)، كما ان الاستغناء عن الاسم الظاهر بهذه الضمائر هو للاختصار مع أفادته تكرار استحضار الذات التي يعود عليها الضمير، فضلاً عن كونه أداة ربط تعلق الجملة الثانية بالأولى[53].

ويلحظ أنّ تفصيل البيان القرآني في وصف هذه الأصناف الحسية يعود إلى أنه يخاطب ألوانًا من البشر، ويشكل هذا التبشير لصنف منهم حافزًا يدفعهم نحو العمل الذي يقربهم من هذا النعيم[54].

والى جانب هذا النعيم الحسي يبرز نعيم آخر يكون معه النعيم الحسي بعضًا من لوازمه، وذلك في قوله تعالى: (**ومغفرة من ربهم**)، إذ إن ما ذكر من أصناف النعيم في الجنة هو لازمة من لوازم المغفرة الإلهية التي تتسع مدياتها وتتشعب، ومن هنا نُكّرت المغفرة لتعم بدلالتها ما شاء الله ان تعم من فضل الهي ونعمة على المتقين، فأضفى ((التنكير أبعادًا إيحائية أوسع)) [55]، مما لو عُرّفت المغفرة، هذه المغفرة التي عُلّق بها الجار والمجرور (**من ربهم**) زيادة في التعظيم والتفخيم، وبإطلاق لفظ الربوبية تتجسد دلالات الرحمة والنعمة والتلطف بالمضاف

---

(52) ينظر: أساليب العطف في القرآن الكريم: 52.

(53) ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الدكتور مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية، القاهرة، ط1، 1997م: 153.

(54) ينظر: في ظلال القرآن: 3291/26.

(55) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، الدكتور مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1404هـ . 1984م: 124 . 125.

إليه(56)، وهو الضمير العائد على المتقين، الذي شكل بدوره عنصر ربط وعلامة دالة تحيل آخر الكلام . في موقف الجنة . على أوله.
ويمضي البيان القرآني في إتمام الكلام . المبتدأ . بما يقتضيه وهو الخبر في قوله **(كمن هو خالد في النار)** لتكتمل صورة هذا المثل عند المتلقي، ولتكتسب غرابة المثل بعدا أعمق عندما تصبح النار المعادل التركيبي له، إذ تُستحضر الحالتان في جملة واحدة ومن ثم صورة واحدة.

وهنا يُعّرف البيان القرآني المخصوص بالعذاب بـ(**مَنْ**)، ويختص هذا الاسم الموصول بالعاقل (57)، دلالة على انه يتمتع بنعمة العقل التي سخرها في غير مقتضياتها، ومن ثم أوردته هذا المورد، الذي جسدته الصلة بصياغتها الاسمية لتقرير حدث الخلود في النار، ومشيرة إلى أحقية هذا الجزاء، فلا ظلم ولا غبن فيه.

وإفراد المخصوص يلقي على المتلقي، بل ويجعله يستشعر حال التوحد، والتوحش المقترن بزمن مفتوح تمثل بلفظ (**خالد**) الدال على تبري الشيء من اعتراض الفساد، وبقائه على الحالة التي هو عليها، وكلّ ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود(58)، وهذا من عجائب النار المسخرة بالقدرة الإلهية، بإيجاد الحياة وأسباب دوامها في مخلوق هو في المنظور البشري سبب من أسباب الموت والإبادة، وقد عبر ربُّ العزة عن هذه القدرة في قوله تعالى: (**لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا)** [فاطر: 36]، وقوله **(كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا)** [النساء: 56]، وفي النار يعرض البيان القرآني لصنف من أصناف العذاب في قوله تعالى **(وسُقُوا ماءً حَميما فَقَطّعَ أمعاءَهُم**) بالتصريح بماهية الحميم، وهو

---

(56) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي (ت885هـ)، تصحيح: محمد عمران الاعظمي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1، 1389هـ . 1969م: 224/18.
(57) ينظر: الكتاب، سيبويه (ت 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت: 105/2، ومعاني النحو: 139/1.
(58) ينظر: المفردات: 160.

الماء الذي يعد وسيلة من وسائل البقاء في بيئة الإنسان العربي الصحراوي، ليجسد صورة تكمن شدتها وقوتها في وضوحها ووجازتها المتمثلة بالاستغناء عن الفاعل في (**سقوا**)، إذ تعد أدنى مراتب العذاب . والله اعلم . لان قوله تعالى (**كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ في النار**) يترتب عليه عذاب نفسي وحسي لا يمكن أن تحيط به مخيلة البشر.

وفي هذا الموقف التفات من الكلام بصيغة المفرد إلى الكلام بصيغة الجمع، محدثًا إثارة وتنبيهًا ؛ لأنّ البيان القرآني وسم العذاب بالخلود في النار على العموم من دون تخصيص لأصناف العذاب، بيد أنه مع الالتفات خصص وحدد، فانتقل من العموم إلى الخصوص، فكشف هذا التعبير المميز عن تمازج أسلوبين يأخذان مسارين متخالفين، إذ افرد مع التعميم (**كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ.** ..) وجمع مع التخصيص (**وسُقُوا ماءً حَميما...**) موقظا الحس ومحركا المشاعر ولافتا الأنظار، وموظفا اللفظ المعبر والبناء الموجز للمعنى الكثير.

وقد ارتبط ترتيب الفعلين (**سُقُوا، فَقَطّعَ**) ارتباط السبب بالنتيجة من خلال الفاء التي أفادت الترتيب والسببية في الوقت نفسه [59]، وهذا التفصيل أدعى إلى التأثير، ولاسيما ما يثيره فعل القطع من دلالات فصل الأجزاء [60]، المتمثلة هنا بأجزاء الأمعاء من دون تلاشيها أو إذابتها، وذلك اشد إيلامًا وتعذيبًا، فببقائها بقاء للألم، لأنَّ المعذَّب يعيش هذه الحال ويبصرها.

وهذه الصورة الحسية العنيفة من العذاب، تناسب جو السورة، وتتناسب مع غلظة طبيعة القوم وهم الكفار، إذ تشن السورة هجوما عنيفا عليهم [61]. وقد ازداد

---

(59) ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني: 377.

(60) ينظر: المفردات: 408.

(61) ينظر: في ظلال القرآن: 3292/26.

وقع هذا الوصف المخيف من خلال مقابلته بجزاء المتقين في الجنة، في تركيب واحد مكوّن في الأصل من طرفين متلازمين يقتضي أحدهما الآخر، وهما: المسند والمسند إليه.

يتضح لنا من كل ما سبق أنّ من أهم السمات التي يتسم بها بناء الجمل في آيات وصف الجنة والنار هو الامتداد الذي يتمثل بالمقيدات والمكملات، التي تنهض . مفردة ومركبة . بمهمة توضيحية يقتضيها الموضوع، وهذا بدوره يعود إلى أننا إزاء عالم غيبي يحتاج إلى عناصر لغوية تقرّب صورته للمتلقي، وذلك من خلال وظيفتها النحوية، ودلالتها المعجمية، فيفرز هذا الامتزاج صورًا تقريبية تخاطب العربي بما عهده من عناصر حياتية متداولة، ليكوّن من خلالها صورا متخيلة لنعيم الجنة وعذاب النار.

The Semantic Function of Expanded Non – Assertive Nominal Sentences in The Glorious Ayas of Paradise and Hell

Asst. Prof.Dr.Talaal Yahya Al-Tubchi[*]& Aaisha Khudur[**]

Abstract

The research points out that "Expansion" is the most distinguishing feature in the Glorious ayas which talk about paradise and hell .The Semantic and syntactic functions which result in wording alurie unit that have the role in forming these Sentences. They give an image of bless in paradise and chastisement in Hell .

[*]Dept of Arabic/ College of Arts/ University of Mosul.
[**] Dept of Arabic/ College of Arts/ University of Mosul.